

باختصار، يستعرض ميشال الاتجاهات السياسية، والانتخابية، في الضفة الغربية منذ العام ١٩٦٧، مشيراً الى أهمية القيادات التقليدية ووجود القوى السياسية المعارضة، مما ضيق، في البداية، حرية عمل م.ت.ف. ومدى نفوذها، وفرض عليها التكيف وتعديل الموقف السياسي وسُلم الاولويات في آن. ويرى المؤلف ان نجاح م.ت.ف. التدريجي تحقق في النهاية، بسبب التقاء مصالح الطرفين، ونتيجة اضاء أبعاد جديدة على الاولويات السياسية لأهل الضفة. وتجسّد ذلك التطور في بروز القيادات الجديدة المؤيدة للمنظمة، التي مثّلت، أيضاً، رؤية محلية معينة وأصرّت عليها. وانعكس ذلك في نشوء التباين في الآراء حول طرق النضال في الارض المحتلة وحول الموقف الافضل تجاه المشاريع والمستجدات المطروحة في الداخل، أو الخارج. وهنا عادت قيادة م.ت.ف. ووجدت ضرورة تشديد قبضتها على صوغ السياسة وصنع القرار. وقد عزز هذا الشعور تقاطع التنافس على النفوذ في الداخل مع التنافس بين التنظيمات الفدائية في الخارج. ويتضمن الفصل السادس شرحاً مقنعاً لتطور المواقف المحلية والخارجية الفلسطينية تجاه السياسات الاسرائيلية المتخذة في الضفة الغربية، مما يكشف، في آن، اختلاف التقويم، وبالتالي الردود المفضلة لدى كل طرف فلسطيني، وايضاً التنافس على النفوذ من خلال تفضيل طرق معينة لمعالجة كل حدث. وما يزيد في تعقيد الصورة وتوضيحها في آن، هو عرض ميشال لعامل إضافي على الساحة بعد العام ١٩٨٠، ألا وهو التنسيق القائم بين الاردن وم.ت.ف. مما أثر في الموازين الداخلية في الاطر السياسية والنقابية في الضفة الغربية ودعم موقف م.ت.ف. / «فتح»، لأن المعارضين استصعبوا رفض ذلك التعاون وما قد يحمله من زيادة لنفوذ م.ت.ف. ولفرص التخلص من الاحتلال الاسرائيلي. وخلاصة الامر - حسب تحليل المؤلف - هي أن م.ت.ف. نجحت في تحييد أي منافس لزعامتها في الضفة، لكن دون أن تزيل كل مصدر بديل للنفوذ هناك.

يختتم ميشال كتابه بسؤال يشكل عنوان الفصل السابع «نحو استراتيجية جريئة - لماذا لا؟»؛ فيشير الى انه كان في اماكن عرفات، في بداية عقد الثمانينات، ان ينظر الى الخلف بعين الرضى، نظراً الى المكانة الدولية، والعربية، لم.ت.ف. والى نجاحها في بناء المؤسسات الفلسطينية المستقلة التي تجسد الارادة والكيان. لكن م.ت.ف. ظلّت تصطدم بمأزق أساسي، ألا وهو انها لم تتقدم أكثر على طريق الحصول على الاعتراف والارض، طالما أنها ترفض الاعتراف باسرائيل والاكتفاء بدولة مصغرة علناً وصراراً، الى حد ان الاتحاد السوفياتي نفسه، وهو الحليف الدولي الأهم، أصرّ على الاقرار بسيادة دول المنطقة كافة.

وفي النهاية، يستنتج المؤلف ان الموقف الفلسطيني سوف يتغير لو تغيرت الظروف والمعطيات؛ والا، فلا يتوقع خطوة دراماتيكية على غرار الاعتراف المسبق باسرائيل، تحريكاً للرأي العالمي، والاسرائيلي.

يجدر التأكيد ان هذا الكتاب قيّم، خاصة انه يثير حقائق جوهرية تواجه العمل الدبلوماسي الفلسطيني ويجب على م.ت.ف. ان تفهم مغازيتها. اما الاعتراضات الاساسية عليه، فتتعلق بتقويمه للفشل المزعوم للاستراتيجية الفلسطينية، اذ يسلم، مسبقاً، بأن النشاط العسكري لا فائدة منه، وهو أمر غير صحيح في معيار م.ت.ف. وكذلك يشدد على خوف قيادة م.ت.ف. من الانشقاقات الداخلية والمضايقات العربية، رداً على الدبلوماسية الفلسطينية، لكن تبين ان تلك القيادة تحمّلت الاثنتين معاً بعد العام ١٩٨٣ ولم تأبه. ولم يلق ذلك مردوداً جدياً من قبل اسرائيل والولايات المتحدة، الأمر الذي يؤكد ان عدم مصداقية الموقعين، الاميركي والاسرائيلي، هو الدليل على عدم فائدة التسليم الفلسطيني المسبق بالتنازلات المطلوبة، اسرائيلياً. ويمكن التشكيك في صحة السؤال الاصيل الذي طرحه ميشال، ألا وهو كيفية تفسير «الفشل» الفلسطيني بتحقيق المكاسب الجغرافية، على الرغم من النجاحات الدبلوماسية. فهل كانت اسرائيل سوف تقوم باجتياحها للبنان العام ١٩٨٢، لولا تراكم المكاسب الفلسطينية واقترب م.ت.ف. من خرق أول الحواجز الاميركية ؟

ي. ص.